ولو أزددنا تعرفا على الاسرار الجمالية لهذا الشكل الادبي ـ اي الصورة ـ ثم وعينا اهميته وخطورته ، لاخلصنا الى حد كبير في تقديم نماذج اكثر نجاحا . ولاختفت من بين اعمالنا ما نلاحظه في احيان كثيرة من خلط بين اسلوب القصة القصيرة في التعبير ، وبين اسلوب الصورة ، فتتلافى بذلك ما قد ينجم عن هذا الخلط من تشويه لاصالة العمل الفني .

اما القضية الثانية فقد استقراتها من طريقة فاروق منيب في رسم نماذجه ، فنادرا ما نلحظ اهتمامه بتفصيل الملامح « الفيزيقية » للشخصيات . لا يعنيه ابدا لون العينين او طول القامة او شكل الراس .. الخ ومع ذلك تميز ذواتشخوصه تمييزا حاسما . فهو مثلا لا يصف الحقير عبد النبي الا بانه « قطعة سوداء » وسط الليل (وهكذا وقف سدا بين خيالك وقدرته على تصور هذه الشخصية).. ولكنا نرافق عبد النبي « من الداخل » بواسطة سلوكه « الخارجي » فنكاد نتعرف عليه ـ مستقبلا ـ من بين ملايين الناس . لقد نجح الفنان هنا في رسم « الملامح النفسية » للنموذج ، فالتحمت هذه الملامح بمخيلة وجداننا ، وفرضت ذاتيتها الخاصة على وعينا بغير ان يلجا الكاتب الى وصف اذني عبد النبي او يقيس صدره او كثافة شعره او عرض ابتسامته .... الخ. ليس معنى ذلك ان هذه الصفعات ـ اذا اضطر اليها القصاص ـ تضعف عمله . انها ـ على العكس ـ تصبح شيئا هاما لو اكسبت الشخصيات دلالة خاصة ومعنى ذاتيا ، فينتقل النموذج من « التعميم » الى التخصيص .

وتاتي القضية الاخيرة ، وهي الخاصة بالتجربة التعبيرية عند فاروق منيب. والحق أن هذه القضية ليست منفصلة عن المنهج التعبيري لمجموعة « الديك الاحمر » . فاللغة الشعبية التي لجا اليها صاحب هذه المجموعة في تصوير نماذجه ، ليست وسيلة او اداة للتعبير كما يظن . انها عنصر حي من عناصر التجربة لا ينفصل مطلقا عن جزئياتها الاخرى كطريقته في التناول او اختياره للشخصيات او تقديمه مضمونا معينا.. ان هذه جميعها في القالب الفني الذي يمارسه الكاتب تعتبر أداته في التعبير . القصة (ككل) هي وسيلة الفنان للتعبير . أما اللغة فهي عضو حي في كيان متكامل لا يجوز لنا أن نفصل بين اعضائه الا من قبيل المجاز اللفظي ، وللضرورة الحتمية . فلا معنى ابدا أن تنصح فاروق منيب ـ وزملاءه معه ـ بالاقتصاد في محصولهم من اللغة العامية. لان فاروق وزملاءه عندما يكتبون بهذه اللغة ، فلوعيهم التام بأن ما يقدمونه هو عمل فني لا تتوفر له مسببات الكائن الحي اذا اصبنا احد اعضائه بالشلل ، لمجرد ان بعضنا يفضل له عضوا صناعيا . ان اللغة الشعبية المصرية هي العضو الطبيعي في جسم العمل الادبي المصري . وبهذه النظرة يجب أن نبصر مجموعة « الديك الاحمر » وزميلاتها .

هل نحرم ، اذن ، على الفنان أن يستخدم أية لغة أخرى ؟ انني أؤمن ايمانا حاسما بأن للفنان مطلق الحق والحرية في اختيار الشكل التعبيري الذي يراه مصورا حقيقيا لمشاعره واحاسيسه وافكاره .. ولكن للقارىء أيضا مطلق الحق والحرية في الحكم على مدى نجاح الفنان في التعبير عن هذه الاحاسيس والمشاعر والافكار . ويخيل الي أن ما لمسته من نسيج فني محكم في بعض اقاصيص « الديك الاحمر » لخير برهان على نجاح صاحبها . فالوحدة الحية بين السرد والحوار تشكل انسجاما في الاداء .. لا أعرف الى أي شيء نرجعه ، اذا لم تكن اللغة هي المصدر الجاسم .

ومرة أخرى أقول أن القضية في حاجة الى دراسة شاملة للمجموعات القصصية التي صدرت للادباء الشبان حديثا . على أن هذا لا ينسينا المجهود الطيب الذي بذله القصاص فاروق منيب ، والذي لا اشك في أنه سيواليه على الدوام بمزيد من التوفيق .

القاهرة — غالي شكري

اغنية ريفية

★

يا قريتي
يا نجمة خضراء في مشارف النخيل
تموج في بحيرة الضياء
عيونها مشاعل المساء
على ضفاف النيل
وظلها صفاء
فؤادك الرهيف يسكب الحياة في سكون
للغارقين في دجى الاغوار
والقابعين في الدروب يرقبون مطلع النهار
ليترعوا من قبضة التراب لقمة الكفاف
والضاربين بالصدور في الصخور
ليطلعوا من وقدة الهجير ريق الثمار
ووجهك المطل في حيائه الحزين
أغنية تهدهد الهموم
لترقأ الدموع في الجفون
وتوقظ الرقود في سواعد الظلال
لينفضوا عن كاهل السراة لعنة الظلام
ويجتلوا الشروق
يا قريتي
من اجلك العيون في سهاد
تخاف في صراعها القضاء
ان تطفأ النجوم والإقمار
في أفقك الرحيب
ولا يعود نهرك الحبيب بهجة الجموع
من اجلك العناة يزحفون
ويحفرون بالاظافر الشداد احرف البقاء
على ذرى السد المنيع قاهر الطغاة
ليفتح التاريخ صفحة السلام
ويكتب اسمك الصغير بالضياء

حسن فتح الباب